بقلم : ماجد أحمد المومني

أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها

سورة محمد :٢٤

العنوان مقتبس من القرآن الكريم، والآية رقم ٢٤، من سورة محمد ولا ريب أن أول عتبات التدبر هو فهم المعنى، والمفردات الواردة في القرآن الكريم حتى يتمكن المسلم من فهم القرآن ويتعلّمه ومن ثمّ يُعلّمه لأفراد أسرته ومجتمعه، فقد أورد البخاري في صحيحه قول الرسول عليه عليه الصلاة والسلام: «خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه».

وهنا نتوقع من الآباء أن يُعلّموا أولادهم جوامع الكلم والتي لا يستغني عنها مسلم واحد في مشارق الأرض ومغاربها باعتبارها ثوابت يحتاج إليها المسلم فهماً ومعنى ولفظاً وسلوكاً ومن هذه الثوابت:

١ ـ أن يعلّموا أولادهم الاستعاذة من الشيطان الرجيم... عملاً بقوله تعالى: (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) النحل:٩٨. ومعناها... أنني أحتمي بالله من شرور الشيطان الرجيم... والرجيم المطرود من رحمة الله... وكلمة أعوذ... ألوذ وأحتمي بالله من شرور إبليس المطرود في رحمة الله. والاستعاذة بكل بساطة تعني الالتجاء أو الاحتماء أو الاستجارة بالله تعالى.

ومع أن الشيطان ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إلا أن الاحتماء بالله ضرورة لازمة في أفعالنا وأقوالنا نظراً لأساليبه في الإغواء والضلال كما فعل مع أبينا آدم، وحتى يبقى المؤمن على صلة بربّه... صلة دائمة ومستمرة، مصداقاً لقوله تعالى: (... إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكلون. إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) النحل:٩٩ـ١٠٠.

٢ ـ يحتاج المسلم إلى حفظ شيء من القرآن الكريم ليؤدي به صلاته، فكل مسلم عليه أن يحفظ:

ـ الفاتحة.

ـ سورة الإخلاص والتي تساوي ثلث القرآن الكريم... عن حديث أخرجه البخاري.

ـ سورة الفلق.

ـ سورة الناس: آيات لم ير مثلهن قط، عن حديث أخرجه مسلم.

ـ سورة الكافرون تساوي ربع القرآن الكريم، عن حديث أخرجه الطبراني.

ـ سورة النصر تساوي ربع القرآن الكريم، عن حديث أخرجه الترمذي.

ـ سورة الزلزلة تساوي ربع القرآن عن حديث أخرجه الترمذي.

ـ سور قرآنية قصار لها من الأجر والثواب... كأجر من أكمل تلاوة القرآن، وفي ذلك رحمة للذين يدينون بالإسلام من غير العرب... وفضل من الله لكل مسلم.

٣ ـ بقي أن نعرف من الثوابت:

ـ بسم الله الرحمن الرحيم.

ـ الحمد لله رب العالمين.

ـ الله الصمد...

ـ أعوذ برب الفلق.

ـ غاسق إذا وقب.

ـ النفاثات في العقد.

ـ الوسواس الخناس.

هذه مفردات يحتاجها كل مسلم في صلاته وأفعاله وسلوكه وطعامه وشرابه، وقبل نومه وحين يستيقظ وفي كل حركة من حركات حياته... وأشد ما كان عجبي حينما لمست أن بعض الطلبة الجامعيين لا يعرفون معنى هذه الثوابت الضرورية لكل مسلم.

ـ بسم الله الرحمن الرحيم...

هي فاتحة كل قول أو عمل ابتداء من الكلام أو تناول الطعام وانتهاء بالاستسلام للنوم... وببساطة تعني أنني أستفتح أقوالي وأفعالي بأسماء الله الحسنى، وأخص من هذه الأسماء الرحمن الرحيم... والتي وسعت رحمته كل شيء... والتي من أبواب رحمته مدخل جنات النعيم... ولا يستطيع أحد أن يدخل هذه

الجنات بأعماله. (... قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم) الزمر:٥٣.

- الحمد لله رب العالمين:

وهو إقرار باللسان وتصديق بالقلب بأن جميع الخيرات هي من فضل الله وهو رب العالمين خالق الكون ومدبّره... وهذا الإقرار والتصديق يصاحبه الشكر لله تعالى على ما تفضل به من نعم وخيرات والتي لا يمكن أن تحصى وهذه الخيرات والأرزاق جميعها من الله. (... قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين...) سبأ:٣٩.

وقفة تأمل على نعمة البصر والسمع والذوق والفؤاد والكلى وسائر أعضاء الإنسان أعطاها الله لنا بالمجان... وهي لا تقدّر بخزائن الأرض... ولا يعرف قيمتها إلا من فقد السمع والبصر ومن أصيب بأمراض القلب والعقل والكلية وسرطان الدم... إنها نعم لا تُحصى... ولا يريد الله سوى أن يشكر ويحمد ربّه على هذه النعم.

- سبحان الله العظيم:

الله بذاته وصفاته ليس كمثله شيء... فكلمة سبحان الله تعني أن الله يتنزّه عن كل نقص في ذاته وصفاته فهو الكمال المطلق في ذاته وصفاته: ... (سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم) التغابن:١. فكل شيء بالوجود يسبّح بحمد الله مع أننا لا نفهم تسبيحهم، فحتى الجمادات والجبال تراها خاشعة لله تعالى... وتسبّح باسم الله العظيم.

- الله الصمد:

روى الدارمي والحاكم في مستدركه أن تلاوة كل حرف من القرآن الكريم يحظى قارئها بعشر حسنات، فإذا علمنا أن كلمة الصمد هي خمسة حروف من أصل ٤٧ حرفاً هي مجموع حروف سورة الإخلاص، وسورة الإخلاص هي ثلث القرآن الكريم، طبقاً للحديث الشريف الذي أخرجه البخاري فهذا يعني أن تلاوة سورة الإخلاص تعادل بالأرقام ١٠٧٠٤٠ حسنة، ومثل هذا الرقم يستحق منا أن نعرف معنى كلمة الصمد، يقول أبو بكر الجزائري في كتابه «أيسر التفاسير»: إن كلمة الصمد تعني هو السيد الذي يُصمد إليه في قضاء الحوائج وعلى الدوام... إنه تعالى هو وحده المقصود في الحوائج، ومثل هذا المعنى في المعجم الوسيط.

الصمد هو المقصود في الحاجات.. وهو الذي يصمد فوق كل صفة... فلو أخذنا كلمة كريم ففوق كل ذي كرم كريم... إلى أن تصل هذه الصفة إلى الذات الإلهية... فتقف الأبصار والأسماع وكل قنوات الإدراك عن تلمس كرم الخالق سبحانه فكرمه خارج نطاق الإدراك، لكن كل ما هو في مجال الإدراك هو إلى هلاك، بينما كرمه تعالى لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال بشر... وقس على ذلك سائر أسماء الله الحسنى من الكمال المطلق... ما يعجز عنه الوصف والإدراك.

- سورة الفلق وسورة الناس:

والتي روى عنها مسلم أن الرسول قد قال فيهما... إنهما سورتان لم ير مثلهن قط... بل إنهما من الاتساع في المعاني مما يغطي مجلدات... فمثلاً الفلق: الصبح، فلو تناولنا فالق الإصباح في الكواكب والنجوم والمجرات التي هي في السماء الدنيا لاحتجنا إلى مجلدات، فكيف الإصباح في السموات العُلى... وكيف هو عند سدرة المنتهى... وكيف هو في جنة المأوى!! وقل مثل ذلك في كلمة غاسق إذا وقب... أي الليل إذا دخل... الليل بظلامه وسواده إذا دخل... وهي الظلمة هي لا شيء بالنسبة لظلمة القبور، وظلمة أعماق البحار، وظلمة المجرات والنجوم والتي بعضها لما يصلنا ضوؤها منذ الخليقة وحتى الآن... فتصوروا بُعدها... قياساً إلى سرعة الضوء في الثانية والتي تساوي ١٨٦ ألف كيلو متر في الثانية، عجزت الأقلام وجفّت الصحف عن وصف صفة من صفاته تعالى.

ففي سورة الفلق أستجير برب الفلق - فالق الإصباح من شر مخلوقاته ومن شر السواحر النفاثات بالإفساد والشرور، والنفث هو النفخ الخفيف، والعقد جمع عُقده في خيط أو حبل... وهكذا يفعل السحرة يعقدون الخيوط ثم بإفسادهم يوهمون الناس بكل هذه العقد بنفخات مسمومة من الشرور والسحر... وهذا الاحتماء بالله يشمل أيضاً شرور الحاسدين الذين يتمنون زوال النعمة عن غيرهم.

بينما سورة الناس تركز على الشيطان الذي يُحدّث النفس الإنسانية من الداخل ويأمرها بالشرور والآثام.. وهذا الشيطان يزين للإنسان سوء الأعمال.. وهو الذي وسوس لآدم فأخرجه من الجنة.

وسْوس: تعني أنه حدّث من الداخل بسوء الأفعال والشرور والآثام والفحش من الأقوال... سورة الفلق وسورة الناس استجارة بالله لمن لا يغفل عنهما من الشيطان وشروره ومن الحاسدين ومن شرور مخلوقاته التي لا نعملها... إنها حصن المؤمن في يقظته وقبل نومه بل في أثناء تقلبه في نومه.

الشيطان هو العدو الأكبر لبني الإنسان وهو الذي أضلّ آدم وزوجه حواء فزيّن لهما أن يأكلا من الشجرة التي منعها الله عنهما... فوسوس لهما أنها شجرة الخلود فأضلهما فكانت النتيجة خروجها من الجنة بعد أن تاب الله عليهما. قال تعالى: (... وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين. فأزلّهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين. فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم) البقرة: ٣٥-٣٧.

ولا سبيل إلى قهر الشيطان إلا بأداء العبادات لله تعالى... من صلاة وصوم وحج وزكاة وشهادة أن لا إله إلا الله... وأن محمداً رسول الله... فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر أي أنها حصن المؤمن من الشيطان الذي يأمر بالفحشاء والمنكر، والصوم وقاية

من سلطان الشهوات التي من خلالها ينفذ الشيطان... روى الترمذي وابن ماجه عن الرسول ﷺ أنه قال: «... إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيِّقوا مجاريه بالجوع...» ويعني الصيام، وكذلك في الحج يُرجم الشيطان بحجارة الحجيج ويخرج مذموماً مدحوراً من قلوب المؤمنين.

وفي الزكاة طهارة النفس من الشحّ وطهارة للأموال من الخبائث: (... ومن يُوق شحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون) التغابن:١٦. (... الذي يُؤتي ماله يتزكى...) الليل:١٨. (... وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة...) في الآية رقم٢٠ من سورة المزمل.

أيها المؤمنون:

استعينوا بالله على الشيطان الرجيم... استجيروا بالله العظيم من شرور الوسواس وذلك بتلاوة سورة الإخلاص وسورة الفلق وسورة الناس في اليقظة وقبل النوم... وقاموا الشيطان بتلاوة القرآن والمحافظة على العبادات من صلاة وصوم وحج وزكاة... (هل أنبئكم على من تنزَّل الشياطين. تنزل على كل أفَّاك أثيم...) الشعراء:٢٢١-٢٢٢.

معنى رمضان:

ومن المفردات التي تحتاج إلى تفسير معنى كلمة رمضان... وهي اسم الشهر التاسع من تاريخنا الهجري، والشهر الوحيد من الشهور الذي ذكره الله تعالى في القرآن الكريم، وقد اختلفت الآراء في تسميته، وتعددت الروايات... فمن قائل: إنه مشتق من رمض إذا احترق... والرمضاء هي شدة الحر وسمِّي بذلك من حر الجوع والعطش.

وقيل إنه سمِّي رمضان لأنه يرمض الذنوب ويحرقها بالأعمال الصالحة... وقيل لأن القلوب تأخذ فيه الموعظة والتفكير في أمر الحياة والآخرة، كما تكتسب صخور الفيافي ورمالها من حرارة الشمس.

وقيل لأن العرب كانوا يرمضون أسلحتهم أي يعرقونها ويشحذونها بين الحجارة استعداداً للحرب في شوال قبل حلول الأشهر الحرم.

وجاء في دائرة المعارف الإسلامية أن رمضان مشتق من «رمض» وفي ذلك إشارة إلى حرّ الصيف، فما يدل على الفصل الذي وقع فيه هذا الشهر وما وما يصاحب فصل الصيف من رمض الصائم أي شدة العطش في جوفه.

هذا من الناحية اللفظية... أما من الناحية العقدية

- فصيامه شهراً كاملاً ركن من أركان الإسلام.

- وهو صبر على المعصية... صبر على الطاعة.

- صبر على البلاء والشدائد والصعاب في سبيل الله.

أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار...

وفي رمضان كان الفتح الأكبر عندما دخل الرسول ﷺ مكة المكرمة، والتف أهلها حول الفاتح الأعظم ودخلوا في دين الله أفواجاً. وفي رمضان انتصر المسلمون في تبوك، وعين جالوت، وحطين، وفتح العرب الأندلس. ورمضان أحب الشهور إلى الله.

ليلة القدر:

اختلف العلماء في سبب تسميتها بهذا الاسم، فمنهم من قال إنها سُميت بذلك لأن الله تعالى يقدر فيها الأرزاق والآجال وحوادث العالم كلها، ويدفع ذلك إلى الملائكة كما قال تعالى: (... فيها يفرق كل أمر حكيم...) الدخان:٤، ومنهم من قال: إنها سُمِّيت بذلك لعظم وجلال قدرها عند الله... (ليلة القدر خير من ألف شهر) القدر:٣، وأجر العبادة فيها يعادل أجر عبادة ٨٣ عاماً، ومن علاماتها أن تشرق الشمس صبحها بيضاً ومن دون شعاع كأنها البدر، وهي في العشرة الوتر من أواخر رمضان.

بعض صفات القرآن الكريم:

ينفرد القرآن الكريم عن غيره من الكتب السماوية والوضعية بالصفات التالية:

١ - إنه الكتاب الوحيد في العالم الذي يمكن حفظه بكلماته وحركاته وألفاظه وآياته وسوره، وزاد في هذا الإعجاز أن أطفالاً في سن الخامسة يحفظون القرآن الكريم عن ظهر قلب، وطفل مصري معاق في الثامنة يحفظ القرآن الكريم، بل إن طفلاً إيرانياً في الثامنة يحفظ القرآن الكريم، ويفسره تبعاً لتفاسير عدة من التفاسير المعروفة، ابن كثير... الطبري... سيد قطب، وهكذا... ولا يشاركه بهذه الصفة كتاب آخر... حتى كتاب العهد القديم لا يحفظه واحد في العالم والعهد الجديد، والبابا نفسه لا يحفظه بألفاظه وحركاته. مصداقاً لقوله تعالى: (... إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون...) الحجر:٩.

٢ - القرآن الكريم هو الكتاب الفريد من بين الكتب السماوية الذي يتضمن جميع الكتب السماوية التوراة الصحيحة، والإنجيل الصحيح، وصُحف إبراهيم وموسى والزبور، الذي أنزله الله على داود.. ولم يختلف به أحد على أنه نزل باللغة العربية، وبينما لا يزال الاختلاف قائماً بين اليهود والنصارى على لغة الوحي الذي أنزل الله بها التوراة والإنجيل... وحسبنا ذلك قول الله تعالى: (... كتاب فصِّلت آياته قرآنا عربياً لقوم يعلمون...) فصلت:٣. (... إنا جعلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون) الزخرف:٣.

٣ - القرآن الكريم به علم كل شيء... علم الأولين والآخرين مصداقاً لقوله تعالى: (... وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب...) آل عمران:٧.

ففواتح السور ... حم... ألر... كهيعص... إلخ.

هذه رموز لا يعرف معناها إلا الله والراسخون في العلم ... قال تعالى: (... ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم...) الحجر:٨٧.

هذه بعض من صفات القرآن العظيم. ■